العلاقات العراقية–التركية العمق التاريخي وآليات تفعيل التواصل

د. حامد محمد طه السويداني

مدرس – مركز الدراسات الاقليمية– جامعة الموصل

مستخلص البحث

تعد العلاقات العراقية– التركية أكثر تميزا وعمقا من علاقات تركيا بالدول العربية الأخرى بحكم الموقع الجغرافي والاعتبارات الإستراتيجية والاقتصادية والثقافية، وفي هذا البحث والذي تكون من مقدمة وخاتمة وثلاث محاور، تحدث المحور الاول عن العمق التاريخي الايجابي للعلاقات العراقية– التركية بينما درس المحور الثاني عوامل قوة ونجاح هذه العلاقات وفق اعتبارات الجوار الجغرافي وللاعتبارات الاستراتيجية والروابط الدينية والتاريخية المشتركة فضلاً عن التداخل الاثني، والارث الثقافي، والعامل الاقتصادي، اما المحور الثالث فقد وضع آلية لبناء علاقات ثابتة ومتوازنة من خلال النقاط التالية:

1. مشكلة المياه . 2– العلاقة مع اسرائيل 3–عدم التدخل في الشؤون الداخلية.

المقدمة

تتميز العلاقات العراقية التركية بكونها ذات عمق تاريخي، وقد ساعد الجوار الجغرافي للبلدين في تطوير العلاقة فيما بينهما، إذ ينفرد العامل الجغرافي والاعتبارات الإستراتيجية بأهمية خاصة كونه يؤثر إيجاباً في التفاعل والتأثير المتبادل بين العراق وتركيا عبر تاريخها الطويل فقد ساعدت هذه العوامل بفعل الصلات الحضارية الوثيقة على تقارب البلدين كثيراً وتميز العراق لاعتبارات معروفة بعلاقات حسنة مع تركيا أكثر من أي قطر عربي آخر، وساهم في انتقال الأفكار والمؤثرات الثقافية فضلاً عن أن العراقيين والأتراك تربطهم العقيدة الإسلامية والتاريخ والمصير المشترك وقد مثلت العقيدة الإسلامية عبر التاريخ آصرة تقارب فعالة بين العراقيين والأتراك وكانت قائمة على أسس دينية تركت إرثاً حضاريا كبيرا، وهذا البحث محاولة لاستذكار العمق التاريخي الايجابي والمشرق في العلاقات العراقية التركية

وتوظيف العامل التاريخي في وضع آليات تفعيل هذه العلاقات وجعلها أكثر قوة من أي وقت مضى والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى تعكير صفو العلاقات العراقية التركية.

المحور الأول: العمق التاريخي الايجابي للعلاقات العراقية التركية

ينحدر الأتراك من قبائل رعوية تجوب منطقة جبال التاي الى الشرق من سهول اوراسيا Eurasia والى الجنوب من نهر ينيسي Yenisei وبحيرة بيكال في الأراضي التي تعد حالياً جزءاً من سهوب منغوليا[1].

وفي منطقة ما وراء النهر والتي نسميها اليوم "تركستان" والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقا الى بحر الخزر (بحر قزوين) غربا ومن السهول السبييرية شمالاً الى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الاتراك[2] والاتراك عرق ابيض عريض الجمجمة Braehyeephalic وغالباً ما يطلق عليهم في الكتب الأدبية لفظ (طوراني) بالفرنسية Touranien وهم القوم الذين ينحدرون من فرع التاي Altay التابع لمجموعة اعراق اورال – التاي Ural-Altay[3].

اما عن اتصالهم بالعرب فيرجع الى عام 22هـ–642 م إذ تحركت الجيوش الإسلامية الى بلاد الباب لفتحها وكانت تلك البلاد يسكنها الأتراك، وهناك التقى قائد الجيش الإسلامي عبدالرحمن بن ربيعة بملك الترك شهربزار فطلب من عبدالرحمن الصلح وأظهر استعداده للمشاركة في الجيش الاسلامي لمحاربة الأرمن فأرسله عبدالرحمن الى القائد العام سراقة بن عمرو، وقد قام شهربزار بمقابلة سراقة فقبل منه ذلك وكتب للخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) يعلمه بالأمر فوافق وعلى اثر ذلك عقد الصلح ولم يقع بين الاتراك والعرب أي قتال بعكس ما يدعي الكتاب الغربيون. وسار العرب والأتراك معاً الى بلاد الارمن لفتحها ونشر الإسلام[4].

وبدأ الإسلام ينتشر بين الأتراك بعد فتح بلاد الترك 705-715م بخطى سريعة[5]، وحدث هذا حينما عبر العرب المسلمون نهر جيحون بقيادة عبيد الله بن زياد والي خراسان في عهد معاوية بن ابي سفيان (ﷺ) واستولوا على بخارى وعدد من بلاد الترك[6].

وكان العراقيون اول من احتك بالأتراك من غيرهم من العرب من الناحية التاريخية والحضارية والثقافية، ولما كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية ومركز الحضارة الإسلامية فقد شهد العصر العباسي الاول (750–833 م) هجرة أفواج كبيرة من الأتراك قدموا من بلاد ما وراء النهر (تركستان اليوم) لينضموا الى جند الخليفة المعتصم بالله (833–842م) الذي كانت امة تركية الأصل[7]. إذ لفتت حرفية الاتراك كجنود أنظار العرب وجاءوا الى بغداد وانضموا الى جيش الخليفة كجنود إجراء في البداية[8]، وتلا ذلك مجيء السلاجقة الأتراك في القرن الحادي عشر الميلادي الى بغداد مركز الخلافة العباسية التي كانت آنذاك آيلة للسقوط فأنقذوها من الانهيار، واعتمد الخليفة المعتصم عليهم وبنى لهم مدينة سامراء 836م، ولم يقتصر استخدام المعتصم لهم على الجيش والحراسة بل اعتمد عليهم في شؤون الإدارة والحكم وأدرج أسمائهم في ديوان الجند واليهم ينسب الانتصار على الروم في معركة عمورية 838م[9].

وقد ساهم الأتراك في الانجازات العلمية والفنية وأخذوا مكانهم في الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في القرون الوسطى، ونستطيع أن نشير الى بعض هؤلاء الإعلام ممن ينحدرون من أصل تركي كالفيلسوف الفارابي واللغوي جوهري والشاعر صولي والشاعر بشار بن برد[10].

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة 656هـ/1258 م قلت الدراسات التاريخية الجادة عن تاريخ العراق وشاع بين المؤرخين والباحثين تعبير (الفترة المظلمة) للدلالة على الحقبة التاريخية التي مر بها العراق منذ الغزو المغولي[11].

وفي بداية القرن الرابع عشر حين تأسست الدولة العثمانية 1299م أخذت هذه الدولة الصغيرة في التوسع بشكل تدريجي وذلك بإخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في الأناضول والبلقان وقد أصبحت منذ العام 1517م حين ضمت إليها المنطقة العربية أقوى دولة إسلامية[12].

وينفرد العامل الجغرافي والاعتبارات الإستراتيجية بأهمية خاصة لكونه اكثر من غيره قوة في التفاعل والتأثير المتبادل بين العراق وتركيا عبر التاريخ[13] وعندما بسط العثمانيون نفوذهم على العراق وكان على مراحل فكانت الموصل اول مدينة عراقية تداخلت مع

العثمانيين عندما أصبحت تابعة للدولة العثمانية رسمياً عام 1516م ثم بغداد عام 1534م ثم مدينة البصرة عام 1546م[14]، فقد ساعد الجوار الجغرافي والصلات الحضارية الوثيقة والعمق التاريخي على تقارب البلدين، وتميز العراق لاعتبارات معروفة بعلاقات حميمة مع تركيا اكثر من أي قطر عربي آخر[15]، ومما لاشك فيه أن هذا الجوار ساعد على انتقال الافكار والمؤثرات بين العراق وتركيا وسهل عملية التاثير المتبادل بينهما[16] وقد مثلت العقيدة الإسلامية طوال قرون متعاقبة آصرة تقارب بين العرب والاتراك عامة والعراقيين والاتراك خاصة[17].

وما دمنا بصدد الحديث عن اوجه التفاعل بين النخبتين العراقية والتركية فان من الضروري ان نشير الى آراء وطروحات رواد الفكر والأدب القومي التركي الحديث والتي مثلت مصدراً آخر للتأثير الفكري المشترك على النخبتين العراقية والتركية مع ملاحظة ان مثل هذا النمط من التاثير قد انحصر على الأغلب بين النخبة المثقفة العراقية أدباء ومفكرين فعلى سبيل المثال وجدت في جوانب من المعالجات الفكرية – القومية لساطع الحصري الذي شغل مناصب هامة في وزارة المعارف العراقية ملامح من آراء المفكر التركي ضياء كوك الب 1876–1924م، كما كان لهذين المفكرين مجادلات مستمرة في الصحف والمجلات العثمانية حول نظام التربية والتعليم الذي ادخل فيه الحصري أساليب عصرية متقدمة وهو ما دفع بأحد الباحثين الاتراك أن يعد كلا من كوك الب والحصري نموذجين لا يمكن نسيان دورها في تطور الفكر التركي المعاصر بينما تأثر الشاعر العراقي معروف الرصافي بآراء وأفكار كل من نامق كمال (1840–1888م) وتوفيق فكرت (1867–1915م) واتضح ذلك من خلال ترجمته للعديد من اعمالهما الشعرية والنثرية[18].

وبعد أربعة قرون كاملة وجد الاتراك انفسهم ومنذ العام 1918 خارج الوطن العربي لتبدأ صفحة جديدة من تاريخ المنطقة والعالم ، فقد انكب الاتراك بعد اندثار سلطتهم على لملمة اشلاء ما تبقى منها في منطقة الاناضول وتراقيا الاوربية، وكان من نتيجة ذلك ولادة جمهورية تركيا الحديثة في 29 تشرين الاول عام 1923، وقد رفع مؤسس الجمهورية مصطفى كمال شعار (السلام في الداخل– السلام في العالم) في اشارة الى أن تركيا قد خرجت من محيطها لتنشغل برعاية شؤونها الداخلية وتنمية مجتمعها[19]، وبعد تسوية مشكلة

الموصل عام 1925 وترسيم الحدود أقيمت علاقات حسنة بين العراق وتركيا من خلال معاهدة 1926، وأخذت العلاقات تتحسن تدريجياً لتصل الى أبعاد ايجابية إذ أعلنت تركيا اعترافها بالعراق عام 1927، أعقبتها علاقات دبلوماسية بين البلدين[20] تميزت العلاقات السياسية بين العراق وتركيا في كونها لم تتعرض الى مشاكل جدية وخطيرة في هذه المرحلة من تاريخ البلدين[21].

وقد وضع احد الكتاب العراقيين كتاباً تحت عنوان (تاريخ الصداقة بين العراق وتركيا) أشار فيه الى: (ان مياه دجلة والفرات تربط العراق وتركيا برابطة الاخوة)، وفي زيارة نوري السعيد رئيس وزراء العراق الى انقرة اوائل عام 1932، عقد مع الجانب التركي ثلاثة معاهدات، وكانت الاولى بشأن تسليم المجرمين، والثانية اتفاقية حول إقامة رعايا البلدين والثالثة معاهدة تجارية. وقد بلغت العلاقات الثنائية أوجها في عام 1937، بعقد ميثاق سعد آباد بين كل من تركيا والعراق وايران وافغانستان وفي هذا السياق علقت إحدى الصحف العراقية حول الموضوع بالقول: (ان الاتفاقية لدليل واضح على استمرار العراق وتركيا على نياتهم السلمية)[22].

وبعد اعلان الحرب العالمية الثانية عام 1939 أجرى العراق اتصالات مع تركيا لتنسيق الموقف بين الدولتين تجاه الأوضاع الدولية وأوضاع الشرق الاوسط.

ولما وقعت ثورة مايس 1941 في العراق عرضت تركيا وساطتها بشأن الثورة وعقد مجلس الوزراء اجتماعاً في 5 آيار 1941 للنظر في أمر الوساطة التركية وقرر الموافقة عليها[23].

وفي عام 1946 دخلت تركيا والعراق في معاهدة صداقة وحسن جوار مع ملاحق تتعلق بتنظيم مياه نهري دجلة والفرات وروافدها بين البلدين، وكذلك التعاون المتبادل في أمور الامن والتربية والتعليم والمواصلات البريدية والبرقية والتلفونية[24]، ومع قيام ثورة 14 تموز 1958 في العراق وإنهاء النظام الملكي وتأسيس النظام الجمهوري كان موقف تركيا من الثورة إن وجهت قواتها نحو الحدود العراقية الا ان الاتحاد السوفيتي حذر تركيا من مغبة القيام بأي اعتداء على العراق. وفي هذه المرحلة أصاب العلاقات العراقية التركية نوع من الفتور، وفي 24 آذار 1959 أعلنت الحكومة العراقية خروج العراق من حلف بغداد[25].

وعندما تولى السلطة في العراق عبد السلام عارف (1963–1966) اتسمت العلاقات بالهدوء حتى عام 1965 عندما وقف العراق الى جانب تركيا ضد مشروع قُدّم الى الامم المتحدة دعا إلى ضم قبرص الى اليونان وقد عبر الاتراك عن احترامهم العميق لموقف العراق[26].

وعندما اجتاحت القوات التركية جزيرة قبرص عام 1974 وتأكيد رئيس الوزراء التركي بولند اجويد Bulent Ecevit بأن قرار الإنزال اتخذ بعد أن استنفذت تركيا جميع الطرق الدبلوماسية لحل الازمة القبرصية[27]، انطلق الموقف العراقي من اواصر العلاقات الحسنة والصداقة وحسن الجوار التي تربطه بتركيا وقدم العراق لتركيا خلال ازمة قبرص 1974 الدعم المالي والاقتصادي، كما قامت الناقلات الحوضية بنقل النفط ومشتقاته من العراق الى تركيا وقد اثنى المسؤولين الاتراك على الموقف العراقي، ولم يقتصر تأييد العراق لاستقرار قبرص وسيادتها، اذ وقف العراق مع تركيا في هذه القضية في كافة المحافل الدولية وخاصة هيئة الامم المتحدة ، وفي مؤتمرات حركة عدم الانحياز ، ومؤتمرات السلم والبرلمانات العالمية[28]. وشهدت العلاقات العراقية التركية تقدماً ملحوظاً منذ منتصف السبعينات وحتى نهاية الثمانينيات على المستوين الاقتصادي والسياسي، وفي عام 1977 استكمل اول خط لانابيب البترول يصل بين كركوك في العراق ويومرتاليك في تركيا[29].

وفي ايلول 1980 اندلعت حرب الثماني سنوات بين العراق وايران وهي واحدة من اكثر حروب القرن العشرين ارهاقاً للارواح وتدميراً للبنى التحتية وتأثيراً في منطقة الشرق الاوسط من الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية كافة[30]، وأصدرت وزارة الخارجية التركية في 2 تشرين الأول عام 1980 بياناً أعلنت فيه (إن تركيا ستبقى على الحياد بين العراق وإيران وإنها لن تبادر الى إرسال الأسلحة أو قطع الغيار الى أي منهما[31]، وحافظت تركيا على حيادها بين طرفي الصراع من نشوبه في 4 أيلول 1980 وحتى توقفه في 8 آب 1988، واحتفظت بعلاقات اقتصادية وسياسية معهما خلال الحرب[32]. وعقدت ندوة فكرية في انقرة عام 1988 بمناسبة انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وأشادت بمواقف العراق الرامية الى وقف الحرب وحمل ثلاثة من الصحفيين الأتراك النظام الإيراني مسؤولية الحرب العراقية الإيرانية[33].

قد سعت تركيا للقيام بدور وساطة بين العراق وإيران لإنهاء الحرب ومنها مشاركة تركيا في لجنة المساعي الحميدة التي شكلتها منظمة المؤتمر الإسلامي حول الحرب وفي هذا السياق أشار رئيس الجمهورية التركية كنعان إيفرن (الأسبق) Kenan Evren (1980–1989) قائلاً (إلى جانب الإضرار التي تلحقها هذه الحرب التي وصلت إلى أبعاد خطيرة فقد بذلت تركيا والباكستان جهود مكثفة لإنهاء هذه الحرب)[34]. وقد حاولت السلطات التركية من خلال سياستها الاقليمية وبناء علاقات طيبة مع كل من العراق وايران على حد سواء[35].

وشهد عقد التسعينات أزمة الخليج عام 1990 ففي إطار الأزمة المتفاعلة حذر رئيس حزب اليسار الديمقراطي بولند اجويد المعارض حكومة حزب الوطن الام برئاسة يلدرم اكبلوط Yildirim Akbulut من ممارسة ضغوط على المجلس الوطني التركي الكبير لمنحه صلاحيات ارسال قوات عسكرية الى منطقة الخليج واتهم اجويد في تصريح له نشرته مجلة Temel الاسبوعية الصادرة في 3 أيلول 1990 المخابرات الاسرائيلية والامريكية باثارة التوتر بين تركيا وجيرانها العرب[36]، وفي 15 شباط 1999 قام طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي بزيارة الى تركيا تلبية لدعوة رئيس الوزراء التركي بولند اجويد، وشملت الزيارة التباحث حول طلب العراق بوقف استخدام الطائرات الامريكية والبريطانية لقاعدة انجرليك وقد عارضت اميركا دعوة الحكومة التركية لطارق عزيز لزيارتها وقد رد رئيس الوزراء التركي بولند اجويد على الاعتراض الأمريكي بقوله (إن تركيا تقرر وحدها سياستها الخارجية) وأعلن اجويد رغبة بلاده في استئناف العلاقات الاقتصادية بين العراق وتركيا[37]، وخلال تشكيل اجويد حكومته الأخيرة 1999–2002 في تركيا حاول تنمية العلاقات الثنائية مع العراق[38].

وتزامنت انتخابات عام 2002 في تركيا مع أزمة الحرب على العراق من قبل دول التحالف بقيادة الولايات المتحدة ، وساعد قرار البرلمان التركي برفض طلب الإدارة الأمريكية من استخدام قاعدة انجرليك لضرب العراق، مما رفع شعبية رئيس الحكومة رجب طيب اردوغان Recep Tayyip Erdoğan[39]، وعارضت تركيا غزو العراق من قبل الولايات المتحدة الامريكية في عام 2003 ورفض المجلس الوطني التركي الكبير المصادقة على مرور القوات الأمريكية عبر الأراضي التركية لضرب العراق[40].

أما بخصوص موقف تركيا من الحرب الامريكية على العراق عام 2003 فقد لخص سليمان ديميريل Süleyman Demirel (1993–2000) الرئيس التركي السابق الموقف الصعب الذي عاشته بلاده قبل الحرب على العراق عام 2003 بالقول: (إن الحرب حتمية مهما كانت التحركات والمبادرات وان تركيا ستتأثر بشدة إذ ما تورطت بحرب لكنها ستواجه خسائر خطيرة اذا لم تصبح جزءاً منها إننا نعيش مأساة كاملة) [41] ، ولم يكن امتناع تركيا عن توفير التعاون المطلوب من واشنطن تمهيداً لغزو العراق عام 2003 قراراً جريئاً فحسب بل كان ساعة الحقيقة بالنسبة للاتجاهات الجديدة للسياسة الخارجية في حكومة حزب العدالة والتنمية واياً كانت الانتقادات التي وجهت الى الطريقة المرتبكة التي حكمت اتخاذ هذا القرار في البرلمان التركي في 1 آذار 2003 فان القرار في النهاية كان صائباً، ولقد آثار هذا القرار ارتياح غالبية الأتراك لكونه ابعد البلاد في التزام عسكري[42].

أما موقف تركيا من انتخابات 30 كانون الثاني 2005 فقد شجعت على أن تجري الانتخابات في موعدها المحدد، وإنها ترى في الانتخابات تسريع في عملية الانتقال للسلطة وتضفي الصفة الشرعية على نظام ما بعد 2003/4/9 كما إن إجراء الانتخابات ينسجم مع سياسة تركيا العامة والداعية الى عراق واحد مستقر وديمقراطي[43].

المحور الثاني: العوامل المؤثرة في العلاقات العراقية التركية

ينشغل العرب والأتراك منذ سنوات بوضع الدراسات والكتب لما ستكون عليه علاقات بعضهم بالبعض الآخر، وهم يعبرون على عتبة الألفية الثالثة، وليس من شك في أن عملية استشراف لمدى زمني معين لابد أن تكتنفها صعوبات وترافقها تحديات وسوء في التقدير، لأسباب مختلفة تأتي المتغيرات غير المحسوبة في مقدمتها. ولكن ملامح المستقبل لابد أن تستند الى ما يمكن أن يعد تجارب حياتية تعتمد الماضي أساساً لها، وفي (الكتاب السيناريو) الذي أعدته نخبة من الاختصاصين الأتراك في وزارة الخارجية التركية وصدر أواخر عام 1999 بعنوان (تركيا والعالم 2010–2020) لا يتضمن الكتاب الذي يحتوي 899 صفحة من القطع الكبير إلا إشارة محدودة لما ينتظر تركيا في القرن المقبل في مجالات العلاقات مع العرب، وتتعلق هذه الإشارة بطموحات تركيا المستقبلية لان تقوم بدور اقتصادي وسياسي

متقدم في منطقة اوراسيا والتي تشمل الأراضي الممتدة من اوربا الى غربي الصين، وهي المنطقة التي ستكون ساحة مركزية خلال الألفية القادمة، وتدل اتجاهات تقنية الإنتاج والاتصال والمعلومات على أن أوربا واسيا ستشكلان كياناً متكاملاً تترابط اجزاءه ويعتمد بعضه على البعض الآخر(44).

وينطلق (اسماعيل جيم) وزير خارجية تركيا السابق في تحليله الذي قدم به الدراسة أعلاه أن جانباً كبيراً من التنمية الاقتصادية خلال القرن المقبل سيجري في آسيا، ويعول كتاب (تركيا والعالم) على مسألتين أولهما (رفع الحظر الاقتصادي المفروض على العراق) وثانيهما (تحقيق السلام) في الشرق الأوسط فضلاً عن هدف ثالث هو (تحقيق السلام الدائم في جنوب شرق تركيا)(45).

منذ وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة أواخر عام 2002 أعادت الحكومة التركية الجديدة صياغة مباديء السياسة الخارجية وأعطتها أبعاداً جديدة لم تبقَ هذه التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية التركية حبيسة أطرها النظرية بل وجدت فرصتها للتطبيق والتفعيل وأحرزت نجاحات باهرة وملموسة، ولعل ابرز الأمثلة على هذه النجاحات هو التحول الذي طرأ على علاقات تركيا مع الدول المحيطة بها وخاصة الدول العربية ومنها العراق التي باتت ترتكز على أساس مبدأ حل المشكلات العالقة وتكشف التعاون في المجالات كافة، وترغب تركيا في تحويل هذا التضامن والتعاون في الشرق والأوسط عموماً والعراق خصوصاً الى واقع راسخ ومؤثر على المدى البعيد، وترى تركيا أن مصيراً مشتركاً يجمعها بالدول العربية، فأنها تعمل بكل ما أوتيت من جهد وتأثير على حل مشكلات المنطقة باعتبارها مشكلاتها الخاصة(46).

وقد ارتكزت السياسة الخارجية التركية المعاصرة على خمسة مباديء وهي:

1. محاولة حل المشكلات العالقة بين تركيا وجيرانها وفق ما يسمى (تصفير المشكلات) وبالتالي إخراج تركيا من صورة البلد المحاط بالمشكلات والدخول في صورة البلد ذي العلاقات الجيدة مع الجميع.
2. التوفيق بين الحريات والأمن.
3. إتباع سياسة خارجية متعددة الأبعاد ومتعددة المسالك.

4. تطوير الأسلوب الدبلوماسي وإعادة تعريف دور تركيا في الساحة الدولية.
5. الانتقال من السياسة الجامدة والمكون الدبلوماسي الى الحركة الدائمة[47].

أما من ناحية العراق فأنه منذ تأسيسه كان يركز في سياسته الخارجية على مبدأ حسن الجوار انطلاقا من مصالحه الوطنية والقومية (ونعني سياسة حسن الجوار) والعمل من أجل تعزيز وتطوير التعاون وتحقيق السلام والأمن بين الدول المجاورة جغرافياً، وأن تقبل بعض الالتزامات التي تقضي بعدم اللجوء إلى الحرب. وأنها تعمل على إقامة علاقات صريحة بينها قائمة على أساس العدل وأن تعمل على سيادة العدالة، وأن العراق يمر الآن بمرحلة جديدة تتطلب بناء تجربة سياسية جديدة في الداخل، ولهذا فإن الجديد يبغي أن يسود سياسته الخارجية مبنياً على مبدأ حسن الجوار، ويؤكد دستور العراق للعام 2005 في مادته الثامنة على مبدأ حسن الجوار، في علاقات العراق الخارجية التي تندرج في إطار بناء علاقات خارجية فاعلة ونشطة يمكن أن تنعكس إيجابيا على بناء هذه التجربة وتساهم في تطور العملية السياسية في العراق وتعمل على تحقيق الأمن والاستقرار والتنمية الاقتصادية والحق أن سياسة حسن الجوار تجاه تركيا متجذرة تاريخيا[48].

وبناءً على ما سبق فان هناك مجموعة من العوامل المؤثرة في العلاقات العراقية التركية منها:

1- الجوار الجغرافي والاعتبارات الإستراتيجية

شكل موقع تركيا الجغرافي تاريخيا ركيزة لانطلاقها نحو العالم إذ يحاول صناع القرار في تركيا استغلال هذا الموقع لبناء رصيد إقليمي والارتقاء به نحو العالمية وتكمن أهمية موقع تركيا في أنها:

أ- تتوسط قارات العالم القديم الثلاث (أسيا وإفريقيا وأوربا) وقد منحها هذا الموقع قدرة على التفاعل الحيوي في المحيط الإقليمي.

ب- تقع تركيا في قلب المجال الجغرافي المصطلح تسميته (أوراسيا) وهي تعتبر المنطقة الوسطية المتحكمة في قلب العالم (Heart Land) وفق نظرية هالفورد ماكندر الجيوبولتيكية.

ج- هي دولة قارية وبحرية معا.

د- تحدها المياه من ثلاث جهات البحر الأسود في الشمال وبحر إيجة في الغرب والبحر المتوسط في الجنوب[49].

وينفرد العامل الجغرافي بأهمية خاصة لكونه أكثر من غيره قوة في التفاعل والتأثير المتبادل بين العراق وتركيا عبر التاريخ ، فقد ساعد الجوار الجغرافي والصلات الحضارية الوثيقة والعمق التاريخي على تقارب البلدين كثيرا وتميز العراق لاعتبارات معروفة بعلاقات حميمة مع تركيا أكثر من أي قطر عربي آخر، وقد ساعد إلى مدى بعيد على انتقال الأفكار والمؤثرات الثقافية بين العراق وتركيا[50]، ويتفق المفكرون والمحللون كافة على أن الجغرافيا والتاريخ صنوان فإذا كانت الجغرافيا تمثل المكان فأن التاريخ يمثل عنصر الزمان الذي يطرح حقيقة تطور المكان في بعده الزمني في علاقات الجوار الجغرافي حيث تصبح التطورات فيها عقب حقب زمنية متتابعة تعبيرا عن جزء من الذاكرة التاريخية لشعوب الدول المتجاورة[51].

وينتج هذا التقارب الجغرافي ضرورات إستراتيجية تركية للجمهورية العراقية، تبعا لأهميتها الجغرافية ولأهميتها الإستراتيجية للعالم الغربي وتأثيرها في تركيا داخليا وخارجيا وتتأثر العلاقات العراقية التركية بمجموعة من المحددات الداخلية والخارجية أهمها:

1- المحددات الداخلية:

أ- اعتبارات الموقع والجوار الجغرافي. ب- الإرث التاريخي.

ج- الرابطة الدينية. د- الأقليات الاثنية.

2- أما المحددات الخارجية فهي:

أ- العلاقات الاقتصادية مع العراق. **ب**- العلاقة مع الغرب. **ج**-العلاقات التركية الإسرائيلية[52].

2- الروابط الدينية والتاريخية المشتركة

ينتمي العراقيين والأتراك إلى بيئة ثقافية شبه واحدة تستمد عناصرها من الدين الإسلامي والتاريخ الواحد والمصير الواحد لذا ليس من الغريب أن تكون عناصر الالتقاء أكبر بكثير من عناصر الاختلاف والتباين[53].

فقد مثلت العقيدة الإسلامية طوال قرون متعاقبة أصرة تقارب فعالة بين العراقيين والأتراك وكانت هذه العلاقات قائمة على أسس دينية أكثر منها سياسية أو اقتصادية[54].

3- التداخل الأثني

على امتداد حدود تركيا مع العراق وداخل مناطقها الجنوبية الشرقية مزيج غير متجانس من الأقليات القومية والدينية عدد الأكراد من بين أكبرها، حيث أقاموا بمحاذاة الحدود خطا من المستوطنات العشائرية، ومن بين تلك المستوطنات وداخل هذه المدن وضواحيها كان هناك أيضا العرب الذين انحدروا من عشائر قاطنة بشكل مستديم أو رحالة مثل عشائر شمر، وطي، وعنزة، والجبور، والشرابيين، والحمدانيين وعشائر أخرى، كذلك تواجد العنصر العربي في مدن تركية مثل ديار بكر، وماردين ونصيبين وسادت هذه المدن اللغة والعادات والتقاليد العربية جنبا إلى جنب مع نظيرتها الكردية والتركية.

وقد زار الباحث هذه المناطق ومكث ثلاثة أيام فيها وأطلع على جانب من الظروف والأوضاع التي تعيشها الأقلية العربية ومن الجوانب الإيجابية لدى العربي في تركيا هو أنه يعتز بوطنه ولديه روابط مصاهرة مع أخيه التركي تربطهم العقيدة الإسلامية والتاريخ والجغرافية المشتركة[55].

وفي موازاة هذا الخط كان هناك خط أخر للأقليات سكنت على طول الحدود العراقية مع تركيا أو داخل مدن وقصبات وقرى المنطقة الشمالية للعراق، وكان الأكراد أبرز تلك الأقليات، وإلى جانب الأكراد كان هناك التركمان الذين استقروا في منطقة امتدت من الجانب الأيسر لنهر دجلة في الموصل مرورا بأربيل، التون كوبري، كركوك، كفري، السعدية وحتى مندلي وعدت كركوك مركزا لهذه الأقلية[56].

4- الإرث الثقافي والنظرة الإيجابية للآخر

عاش العراقي والتركي طيلة الألف سنة الماضية في هذه المنطقة الحيوية من العالم وقد ولد هذا التعايش تراكما ثقافيا واجتماعيا وفكريا وأفرز العديد من الأنماط الأدبية على الصعيدين الرسمي والشعبي(57).

وتقتضي الأمانة العلمية أن نشير إلى تأثر الفولكلور التركي بالفولكلور العراقي وهذا لايعني عدم تأثر الفولكلور العراقي بالفلكلور التركي، وإنما لهذا التأثير أثره الفعال في تطوير الفولكلور العربي من جوانبه الفنية بشكل خاص نظرا إلى المدة الطويلة للتلاقح الثقافي بين الشعبين العربي والتركي(58)، ولعل جانب الفنون الجميلة في التلاقح الثقافي والحضاري العربي التركي أكثر الجوانب تأثرا وتأثيرا في حياة الشعبين الصديقين فإذا كان السلطان العثماني سليمان القانوني (1520–1566م) قد لبس ملابس فارس عربي عندما سار إلى العراق لضم بغداد إلى السيطرة العثمانية، فقد تأثرت الحياة العربية بالعديد من جوانب الحياة التركية في الأزياء الحديثة وتأثر الأتراك أيضا بالخط العربي وفي تطوير استعمالات الخط العربي في التزيين والتزويق سواء كحروف أو خطوط كالخط الكوفي والفارسي والتعليق وفي زخرفة الأواني الزجاجية وعمل الجداريات في المساجد، بل أن قصر بغداد الكائن في استانبول لا يزال يحتفظ بكافة فنون الأرابيسك° وبالطرازين الفاطمي والأندلسي(59).

والأمثال التركية التي تضرب طويلا في التراث التركي وتمدح العرب كثيرة وصفات العرب مثبتة في الآداب التركية فهم أي العرب: (قوم نجيب عرب) بمعنى أن العرب قوم نجباء وصفات العرب من كرم وشهامة ومحافظة على العرض والجوار واتسامهم بالفروسية والأخلاق الكريمة موجودة هنا وهناك في الأعمال الأدبية التركية والعثمانية مثل: (حُسن وعشق) للشاعر العثماني الكبير (غالب) وكذلك الشاعر عبدالحق حامد° الذي وصف العرب في ثنائيته المسرحية (فتح الأندلس) وعبدالحق حامد له منزلة عظيمة في نفوس الأتراك وهو عندهم الشاعر الأعظم قوله: (إن من صفات العرب الصدق والثبات والمهابة في الحرب والهدوء في السلم والسمو عن النهب والسلب في الغزوات، وأنهم يعمرون ولا يخربون إجماع الأمة عنهم أساس الحكم ومن صفاتهم أن المرء منهم لا يخطب على خطبة أخيه وأن الحكمة دوما على لسان العربي)، تقول الرؤية التركية: إن تربية العربي لأبنه قوامها البكور والصلاة وتلاوة القران الكريم والفروسية والصيام وحفظ الشعر، والعربي إنسان متحضر يسلك تجاه

الأسرى سلوكا خلقيا إسلاميا والعرب المنتصرون يحترمون جثث أعدائهم والشجاعة النادرة تكون مرادفة للعرب في الأدب التركي[60].

وحظيت المرأة العربية بمكانة سامية في وجدان الأتراك عامة وفي أدبهم خاصة فالرؤية التركية للمرأة العربية رؤية أكبار وإجلال واحترام فالمرأة العربية مجاهدة ومخلصة دينها أهم ما لديها من كل اعتبار أخر. مقاتلة إذا لزم الأمر تنال احترام العربي وحبه ثابتة على الحق والعدل، كريمة أبية مؤمنة بالله ولا تقع إلا إذا ماتت ولا يقهرها إلا الموت وأنها تتردد على المدارس للعلم[61].

5- العامل الاقتصادي

إن مصلحة تركيا الاقتصادية ليس الآن فحسب وإنما ترجع إلى أيام عهد الدولة العثمانية، فالدول العربية عموماً والعراق خصوصاً يشكل سوقا كبيراً وغنياً بالخيرات والثروات، والعلاقات الأخوية تجعلها أولى بإقامة مؤسسات تعاون اقتصادية معها[62]، وتعد تركيا من الدول المجاورة للعراق وارتبطت بعلاقات تجارية معه منذ مطلع القرن العشرين[63]، وفي عقد الثلاثينات ارتبط العراق بتركيا باتفاقية تجارية على المستوى الرسمي بعد تأسيس الدولة العراقية[64]، كما وقع العراق اتفاقيتين تجاريتين مع تركيا الأولى عام 1932، والثانية 1965 م تضمنت 11 مادة مع ملحقين لكل من الصادرات العراقية والتركية[65].

وقد تطورت مجالات التعاون العراقية التركية بعد عام 1968 إذ حرص العراق على إقامة علاقات حسن جوار وتعاون متبادل[66]، وفي أيلول 1968 تم التوقيع على اتفاقية الترانزيت بين البلدين والتي تستهدف العلاقات التجارية[67]، ونظرا لموقع البلدين، وقربهما الجغرافي، وتبادل مواردهما الطبيعية، وتنوع التبادل التجاري أثر كبير في العلاقات الاقتصادية وتنفيذ المشاريع المشتركة، إذ شهدت العلاقات الاقتصادية بين العراق وتركيا خلال عقدي السبعينات والثمانينات تطورا ملحوظا في ميدان التجارة والطاقة والإنشاءات والاستثمارات والعمالة، وقد تطورت بشكل ملحوظ منذ أوائل الثمانينات بفعل عوامل سياسية واقتصادية[68]، وللعراق وتركيا علاقات اقتصادية ضخمة تمثلت في العلاقات

الاقتصادية، والتعاون التجاري، والاستثمارات المتبادلة، والتعاون النفطي، ومشاريع أنابيب الغاز الطبيعي، ومشروع الربط الكهربائي[69].

وفي عام 2001 قام وزير النفط العراقي عامر محمد رشيد بزيارة إلى تركيا لحضور اجتماعات الدورة الثالثة عشر للجنة العراقية المشتركة للتعاون الاقتصادي والتجاري وأوضح أن قيمة المبادلات التجارية بين الدولتين بلغت سنة 2000 مليار دولار وأضاف بأن الدولتين تسعيان لرفع تلك القيمة إلى ثلاثة مليارات دولار سنويا[70].

ورغم مخاوف تركيا من الاتفاقية الامنية المبرمة مع العراق والولايات المتحدة الأمريكية في 26 آب 2007 والتي احتوت على بعض البنود، وفي المجال الأمني يؤكد التزام امريكا بردع أي عدوان خارجي يستهدف العراق وينتهك سيادته وحرمة أراضيه وأجوائه أو مياهه الإقليمية، إلا أن موقف تركيا كان مسانداً لهذه الاتفاقية ورغبتها في أن يكون العراق بلداً واحداً يمتلك مقومات الدولة الحديثة لما يترتب عليه من مردودات ايجابية تنعكس على المجالات الاقتصادية والسياسية والامنية[71]. وفي 11 تموز 2008 وقعت تركيا والعراق الإعلان السياسي المشترك لتأسيس المجلس الأعلى للتعاون الاستراتيجي بين حكومتي العراق وتركيا وتعهدتا بتطوير شراكة استراتيجية طويلة الأمد تهدف الى تعزيز التضامن بين شعبي العراق وتركيا وفي 30 تشرين الأول 2009 كسرت تركيا الحلقة الأصعب والاكثر حساسية في سياستها الخارجية من خلال الزيارة التاريخية التي قام بها وزير الخارجية التركي احمد داؤد اوغلو ومعه وزير التجارة ظفر تشاغليان الى اربيل[72]، وبعد احتلال العراق في 2003/4/9 من قبل الولايات المتحدة الأمريكية تأثرت التجارة التركية كثيرا بسبب انعدام الأمن وعدم قدرة الشركات التركية العمل في العراق، لكنها عادت من جديد وزادت نسبتها عما كانت عليه قبل عام 2003، ومن خلال هذا العرض التاريخي للعلاقات الاقتصادية فإن العراق وتركيا في حالة استقرار الأمن واتفاقية حسن الجوار والصداقة من المكن الاستفادة اقتصاديا من كلا البلدين.

المحور الثالث: من أجل بناء علاقات ثابتة ومتوازنة

ظهر في السنوات القليلة الماضية خطاباً سياسياً تركياً تجاه العرب يتسم بالإيجابية وقد صرح القادة الأتراك في أكثر من مناسبة على قوة علاقاتهم وتاريخهم المشترك مع العرب فقد تحدث رئيس الوزراء التركي رجب طيب أوردغان في القمة العربية المنعقدة في مدينة سيرت الليبية بتاريخ 27-28 آذار 2010 قوله: (إن تاريخنا وعقيدتنا لم تجعلنا أصدقاء بل أقول بخطوط عريضة جعلتنا أخوة أشقاء)[73]، والآن يتحدث أحمد داود أوغلو وزير الخارجية التركي الحالي عن مبدأ السلام وتصفير المشكلات والمنفعة الاقتصادية مع دول الجوار الجغرافي ومنها العراق، وقبل التعليق على هذا الطرح لابد من القول بأن الدول القومية بدأت بالانحسار والتراجع خاصة في الشرق الأوسط فالدول العربية بدأت أنظمتها بإعادة التشكيل وفق مبادئ الديمقراطية والتعددية وتقبل الأخر، وإن المصالح الاقتصادية والعمل على رفاهية الدول والحوار الحضاري والفكري هو الذي أصبح أيدلوجية لأي دولة في المنطقة، وهنا ينبغي على الجارة تركيا أن تبدأ تصفير مشكلاتها من الداخل أولا ثم الانطلاق نحو العرب عموما والعراق خصوصا في إعادة تشكيل علاقات صادقة ومتوازنة وثابتة مدعمة باتفاقيات صداقة وتعاون وحتى دفاع مشترك أن صحت النوايا، أما التصريحات والأقوال فهي تبدوا هامشية في ظل تعاون تركي أمريكي إسرائيلي غربي ثابت ، ويعتقد الباحث هناك مجموعة من المشاكل لابد من أن يوضع لها صيغ تعاون وحلول جذرية ليتسنى لنا التعايش الحقيقي السلمي ومن أبرز هذه المشكلات.

1- مشكلة المياه

شهدت منطقة جنوب شرق تركيا في السنوات الأخيرة تحقيق جملة مشروعات مائية كبيرة متعددة الأغراض، والنتائج شملت سلسلة من سدود المياه، والخزانات، وأنفاق الري، ونظم الأقنية، ومحطات كهرومائية يطلق عليها باللغة التركية اختصاراً مصطلح مشروع الكاب GAP. Güneydöğu Anadoly Progesi لاستغلال نهري دجلة

والفرات[74]، وتبرز أهمية تنمية الموارد المائية في تركيا باعتبارها الأساس الحقيقي للتحول الحضاري، والتنمية الاقتصادية[75]، وعلى هذا الأساس تتطلع تركيا وهي تقوم بتنفيذ مشروعها التنموي المتعدد الأغراض إلى تحقيق عدد من المكاسب السياسية والاقتصادية رغبة منها في بناء اقتصاد قوي يعتمد على مقومات الصناعة الحديثة، والنهوض بواقع الزراعة، والاهتمام بالتجارة، وتشجيع الحركة السياحية في البلاد[76].

ويرى الباحث بأنه لابد من طي صفحة الماضي فيما يتعلق بمشكلة المياه وتصريحات المسئولين الأتراك عن أهداف مشروع الكاب وكيف يريدون مقايضة الماء بالنفط واعتماد مشكلة المياه ورقة ضغط سياسية تجاه العراق، وهنا كما قال أوردغان: (لابد من مراجعة الذات والتصالح مع التاريخ العربي)، وباعتقادي وحتى يتم تصفير المشكلة لابد من اتخاذ إجراءات عملية بنية حسنة وكما يلي:-

1- احترام المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الجانبين وضرورة الالتزام بها لأن هذه الاتفاقيات المصدر الأساسي المعتمد لتنظيم واستثمار مياه الأنهار المشتركة.
2- على تركيا التنسيق مع العراق بشأن تزويده بالمعلومات والخرائط الخاصة بالمشاريع التي تنوي تركيا إقامتها[77].
3- الكف عن اللعب (بورقة المياه) فقد كتب صحيفة كون أيدن التركية الصادرة في 24 كانون الثاني 1990 مقالا تحت عنوان (مساومة حول الماء والنفط مع العراق) وقولهم أيضا: (مثلما لديكم سلاحا قويا هو النفط فأننا أيضا نملك سلاح الماء).

2- العلاقة مع إسرائيل

تشهد العلاقات التركية الإسرائيلية منذ تأسيسها المزيد من التحسن ففي مطلع التسعينات تطورت العلاقة بينهما على أساس أنهما الحليفان الاستراتيجيان للولايات المتحدة الأمريكية وقد تطور الاتفاق التركي الإسرائيلي الذي تم توقيعه في شباط 1996 إلى حلف عسكري ، بشكل بدوره خطرا على المنطقة لاسيما سوريا والعراق فالاتفاق يسمح للطيران الحربي الإسرائيلي باستخدام الأجواء، والقواعد التركية فأصبحت لإسرائيل قدرة استطلاعية في اختراق أجواء المنطقة، وكانت المناورات التركية الإسرائيلية الأمريكية عام

1998 قبالة الشواطئ السورية على بعد 100 كم تحت عنوان (الحورية الواثقة) فوقعت تركيا (16) اتفاقية في مجال التعاون العسكري أبرزها الاتفاق على إنتاج صواريخ متوسطة المدى (500 كم) ذات قدرة عالية وشراءها دبابات إسرائيلية من نوع (مير كافا 3) وعددها (800) دبابة بقيمة 4,5 مليون دولار وتوقيع اتفاقية بقيمة 600 مليون دولار لتحديث (54) طائرة مقاتلة تركية فضلا عن المجال ألاستخباري[78].

ويعتقد الباحث بأن موضوع العلاقات التركية الإسرائيلية هو شأن تركي لكن إن هذه العلاقات إذا ألحقت ضرراً بالدول العربية عموماً والعراق خصوصاً هذا لا يمكن تقبله فينبغي المصارحة مع الذات فإذا كانت تركيا تقول نحن أخوة أشقاء تربطنا العقيدة الإسلامية لابد لها من فهم هذا الطرح ، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لا تقدم تركيا على إقامة تحالف عراقي تركي أو تركي سوري بنفس الحجم، خاصة وأن العراق ليس لديه نظرة سلبية تجاه الجارة تركيا، المطلوب التحرك الفعلي تجاه العراق ووفقا لما يطرحه الساسة الأتراك من عامل الدين والتاريخ المشترك لابد أن تكون العلاقة بين العراق وتركيا أقوى من العلاقات مع تركيا وإسرائيل المختلفة عقائديا وتاريخياً.

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن العرب عامة والعراقيين خاصة لهم تصورات إيجابية عن الجارة تركيا ولم يكونوا يوما من الأيام يريدون الإيقاع بها أو إلحاق الأذى بها ولعل كلمات الزعيم القومي الراحل جمال عبدالناصر (1952–1970) خير دليل على شعور المحبة والإخاء تجاه تركيا بقوله: (مهما يكن الأمر بيننا وبين تركيا في الماضي أو الحاضر فهي منا ونحن منها كان أبونا وأبوها أخوين في التاريخ تشاركا في سراء الحياة وضرائها وتقلبا معا في نعمائها وفي بؤسها وحاربا جنبا إلى جنب في ميدان واحد قرونا عدة لنصرة المثل العليا وحين تألبت قوة البغي والعدوان لتزحزحنا عن مكاننا في التاريخ كانت تركيا هي الهدف الأول وكنا نحن من ورائها، ووطننا وطنها قطعتان من هذا الشرق العربي فهي دولة من آسيا وإن كان وجهها لأوربا، وقرأننا قرأنها واحد نزل به الوحي الأمين على محمد (ﷺ) في مكة والمدينة وفسره مفسره في بغداد والشام ومصر وكتبه كاتبه بقلم النسخ في استانبول وما يزال يتلوه بلساننا أو بلسان غير لساننا قراء مسلمون في أضنه وأنقرة وديار بكر وأزمير وقونيه– ماضينا وماضيها فصلان من كتاب واحد في تاريخ الإسلام، وحين وطئت أقدام الأتراك أرض

أوربا لتقييم دولة عثمانية على أنقاض إمبراطورية قسطنطين كان شعار المحاربين من العرب والأتراك يومئذ واحد على كل لسان هو: (الله أكبر) يهتف به المصلون في أبا صوفيا فيتردد صداه على مآذن المسجد الأموي بدمشق والجامع الأزهر بالقاهرة وجامع الزيتونة في القيروان ومساجد أخرى في بغداد والكوفة وصنعاء وفاس وغرناطة.

ونحن إلى كل ذلك أصهار ففي كل دار من دار العرب على اتساع بلادهم عربي يمت إلى الترك بخئوله وفي كل دار من دور الترك برغم اعتزالهم في ديارهم تركي يمت إلى العرب بعمومه فقد اختلطنا نسبا وصهرا ومواريث ثابتة ومنقولة وإن قامت بيننا الحدود والسدود والأسلاك الشائكة ، ونحن اليوم من تركيا كما كنا في الماضي أخوة مخلصين لأخت صالحة العرق والنسب وإذا سلمت تركيا سلمنا وإذا نحن كنا من القوة بحيث يحسب العدو حسابنا فقد سلمت تركيا فنحن لها الدرع الواقية وهي في موقعنا بإزاء العدو درع لنا، الشعب التركي يؤمن بهذه الحقائق منذ كلن فلم يكفر بها يوما)[79].

الخاتمة

تبين من خلال البحث أن العلاقات العراقية – التركية علاقات متميزة وايجابية أكثر مما هي سلبية فالإرث التاريخي والمصالح الاقتصادية والأمنية والثقافية المتبادلة جعلت السياسيين والمثقفين من النخبتين العراقية والتركية تبحث وتطرح آليات من شأنها تطوير وإنماء هذه العلاقات، ويعتقد الباحث بأن معظم دول الشرق الأوسط وبفعل التلاقح الحضاري والانتماء الديني أصبح في كل دولة أقليات عرقية ترجع في أصولها إلى دول أخرى لكنها انصهرت بهذه الدولة وأصبح لديها انتماء لتراب الوطن الذي ولد فيه ودرس ونشأ... الخ. ففي تركيا توجد أقليات عربية وكردية عراقية الأصل فمعظم القبائل العربية في تركيا هي قبائل أصلها عراقية وكذا الحال في العراق توجد أقلية تركمانية ترجع أصولها إلى العرق التركي. وينبغي على كل من العراق وتركيا النظر الى المستقبل وتسخير طاقات الشعبين الصديقين العراقي والتركي من اجل بناء علاقات اكثر عمقاً وتبادل للمصالح الاقتصادية والثقافية من اجل انماء قدرات الشعبين وتحقيق الرفاهية الاقتصادية .

وينبغي لنا إذا أردنا الحفاظ على قوة ونجاح وثبات العلاقات العراقية التركية لابد من:

1- المحافظة على بناء الثقة وحسن النية بين الشعبين الصديقين المسلمين.
2- المحافظة على اعتماد الخطاب السياسي الهادئ والمعتدل والاحترام وإيجاد علاقات متوازنة.
3- عدم التدخل في الشؤون الداخلية والتعاون وحل النزاعات بالطرق السلمية وضمان أمن الحدود.
4- إقامة منطقة تجارة حرة بين العراق وتركيا وتشجيع الاستثمارات والتعاون الاقتصادي بين البلدين.
5- تطوير العلاقات الثقافية وتشكيل لجنة من المؤرخين والكتاب من مراكز الدراسات في الجامعات لتبادل الأفكار وتصحيح المفاهيم التاريخية التي عمل الاستعمار على زرعها في نفوس الشعبين الصديقين.
6- تشجيع السياحة.

Iraqi-Turkish Relations, The Historical Depth and Mechanisms of Persistence

Dr. Hamid M. Al Suwaidani
College of Fine Arts

Abstract

Iraq-Turkish relations are considered as deeper and more distinctive than other Turkish relations with Arab countries and that is because of the geographical location and the economic cultural strategic considerations. In the current study a light was shed on the on the following pivots; the first one talked about the positive historical depth of the Iraqi- Turkish relations, while the second one talked about the factors of strength and success of these relations in accordance with considerations of geographical neighboring, strategic considerations, mutual religious historical ties addition to the ethnic overlap, the cultural inheritance , and the economic factor, The third pivot talked put forth a mechanism for the sake of building permanent and parallel relations through the following points :

1. The problem of waters.
2. The relation with Isreal .
3. Non interference in internal affairs .

الهوامش

(1) أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر والتوزيع (القاهرة: 2005)، ص15.

(2) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط5، دار المعرفة، (بيروت: 2008)، ص23.

(3) يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل (استانبول، 1988)، ص17.

(4) الصلابي، المصدر السابق، ص24.

(5) هيثم الكيلاني، تركيا والعرب، دراسة في العلاقات العربية التركية، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (ابو ظبي، 1996)، ص9.

(6) محمد طه الجاسر، تركيا: ميدان الصراع بين الشرق والغرب، دار الفكر، (دمشق: 2002)، ص21.

(7) الكيلاني، المصدر السابق، ص10.

(8) اوزتونا، المصدر السابق، ص46.

(*) معركة عمورية 838م: وهي المعركة التي يتغنى التاريخ الاسلامي بفتح عمورية ويذكر للمعتصم بأنه حينما بلغه نبأ المرأة المسلمة الت اعتدى عليها جنود بيزنطنيون في ثغر زبطرة فصاحت مستغيثة (وامعتصماه) وحينما بلغه النبأ صاح بكل شهامة (لبيك ايها المرأة المسلمة) واعلن النفير العام في الجيش وفتحت عمورية انتقاماً لشرف المرأة المسلمة، اسامة أحمد تركماني، تاريخ الاتراك والتركمان ما قبل الاسلام وما بعده، دار الارشاد للنشر، (سوريا – 2007)، ص69.

(9) الكيلاني، المصدر السابق، ص10.

(10) اوزتونا، المصدر السابق، ص46.

(11) خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني 1638 – 1750م، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد: 1975)، ص1.

(12) خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء الى الانحدار، ترجمة محمد الارناؤوط، ط1، دار الكتب الوطنية (ليبيا، 2002)، ص9.

(13) نصيف جاسم المطلبي، موقع تركيا الجيوستراتيجي وأهميته للعراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: 1986)، ص246.

(14) مراد، المصدر السابق، ص23.

Edward Greasy , History the Ottoman Turke (London- 1876), P.246.

(15) قاسم خلف عاصي الجميلي، العراق والحركة الكمالية 1919-1923، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد – 1990)، ص22.

(16) المصدر نفسه، ص22.

(17) المصدر نفسه، ص25. للمزيد عن انتقال المؤثرات والأفكار بين تركيا والعراق ينظر: ذنون يونس الطائي، الاتجاهات الإصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل – 1999).

(18) المصدر نفسه، ص32.

(19) محمد نور الدين، السياسة الخارجية، أسس ومرتكزات في مجموعة باحثين تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، (لبنان، 2010)، ص133.

(20) عوني عبدالرحمن السبعاوي، العلاقات العراقية التركية 1932 – 1958، رسالة ماجستير منشورة، مركز الدراسات التركية (جامعة الموصل، 1986)، ص27.

(21) جمهورية العراق، مركز البحوث والمعلومات: خيارات السياسة الخارجية التركية(مصدر خاص) (د.م. د.ت)، ص57.

(22) العلاقات العربية التركية (من منظور عربي)، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (استانبول، 1992)، ص239.

(23) مهدية صالح حسن العبيدي، العلاقات العراقية التركية 1968-1980، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد – 1986)، ص28.

(24) عوني عبدالرحمن السبعاوي، العلاقات العراقية التركية وآفاق تطورها، مجلة اوراق تركية معاصرة، السنة1، العدد1، مركز الدراسات الاقليمية (التركية سابقاً) (جامعة الموصل – 1987)، ص9.

(25) العبيدي، المصدر السابق، ص35.

(26) محمود علي الداؤد، العلاقات العربية التركية والعوامل المؤثرة فيها، مجلة المستقبل العربي، العدد 45، (بيروت– 1982)، ص67.

(27) مقابلة شخصية للباحث بتاريخ 2007/7/9 في مدينة ازميت التركية مع الاستاذ الدكتور اورهان كول أوغلو السكرتير الشخصي لرئيس الوزراء التركي الراحل بولند اجويد.

(28) حامد محمد طه السويداني، بولند اجويد ودوره في السياسة التركية 1957-2002، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل – 2010)، ص107.

(29) العلاقات العربية التركية (من منظور تركي)، ج2، معهد البحوث والدراسات العربية، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية (استانبول – 1992).

(30) ماريا حسن مغتاظ التميمي، موقف تركيا من الصراع العراقي الايراني (1980-1988)، المجلة السياسية والدولية، السنة 5، العدد 16 (الجامعة المستنصرية – 2010)، ص205.

(31) زياد عزيز حميد الجلبي، السياسة الخارجية التركية 1973–1983، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعة المستنصرية–1989)، ص60.

(32) جلال عبد الله معوض، السياسة التركية والوطن العربي في الثمانينات، مجلة شؤون عربية، العدد 62، (القاهرة – 1999)، ص145.

(33) حامد محمد طه احمد السويداني، العلاقات العراقية التركية 1980–1988، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل – 2003)، ص 34.

(34) المصدر نفسه، ص35.

(35) جرجيس حسن، تركيا في الاستراتيجية الامريكية بعد سقوط الشاه، ط1، (د.م – 1990)، ص79.

(36) طلال يونس الجليلي، بولند اجويد: دراسة في النسق الفكري المعاصر، مجلة دراسات تركية، السنة 3، العدد 4، مركز الدارسات الاقليمية (جامعة الموصل، 1993)، ص105.

(37) هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمه 1648 الى نهاية القرن العشرين، ط1، ج2، (دمشق، 2002)، ص236.

(38) جاسم الحريري، اهمية العلاقات العراقية التركية في الامن الاقليمي والدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بحوث سياسية رقم (20)، ارشيف مركز الاقليمية، جامعة الموصل، ص7.

(39) كمال بياتلي، تكريس العلمانية في تركيا صراع الهوية، تحرير لقاء مكي، مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، (قطر–2006)، ص15.

(40) باربارا سلامثي، اوردوغان يتحدث عن الوضع في العراق، ترجمة انور نجم محمود، نشرة ترجمات اقليمية، السنة 1، المجلد 1، العدد 2، (مركز الدراسات الاقليمية) (جامعة الموصل – 2009)، ص1.

(41) مثنى علي المهداوي، السياسة التركية تجاه العراق ما بعد الانتخابات، مجلة العلوم السياسية، السنة 17، العدد 32 (جامعة بغداد –2006).

(42) شريف تغبان، الشيخ الرئيس رجب طيب اوردوغان: مؤذن اسطنبول ومحطم الصنم الاتاتوركي، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2011، ص207.

(43) المهداوي، المصدر السابق، ص178.

(44) ابراهيم خليل العلاف، العلاقات العربية التركية في مواجهة القرن الحادي والعشرين، مركز الدراسات الاقليمية (جامعة الموصل – 2000)، ص5.

(45) المصدر نفسه، ص5. للمزيد ينظر: ابراهيم خليل العلاف، نحن تركيا: دراسات وبحوث، ط1، مركز الدراسات الاقليمية (جامعة الموصل، 2008).

(46) أحمد داؤد اوغلو، العمق الاستراتيجي، موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ط1، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، راجعه بشير نافع وبرهان كوروغلو، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت– 2010)، ص11–12.

(47) نور الدين، المصدر السابق، ص138.

(48) سعد حقي توفيق، العرق وسياسة حسن الجوار تجاه تركيا وإيران، مجلة العلوم السياسية، السنة 21، العدد 41 (جامعة بغداد –2010)، ص 10–11.

(49) علي حسين باكير، تركيا الدولة والمجتمع: المقومات الجيوسياسية والجيوستراتيجية النموذج الإقليمي والارتقاء العالمي في تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج...، ص 20.

(50) الجميلي، المصدر السابق، ص 21.

(51) عبد المنعم سعيد، العرب ودول الجوار الجغرافي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت– 1987)، ص 21.

(52) وائل محمد إسماعيل ألعبيدي، العرب في الإدراك الأمريكي والتركي، مجلة أم المعارك، السنة 7، العدد 27، مركز أم المعارك للبحوث والمعلومات (بغداد– 2001)، ص 45.

(53) محمد نور الدين، وجهة نظر عربية في التعاون والتنسيق العربي التركي، مجلة المستقبل العربي، ملف خاص بندوة الحوار العربي التركي (بيروت – 2001)، ص 105.

(54) ألجميلي، المصدر السابق، ص 25.

(55) مقابلة شخصية للباحث مع الشيخ خلف العواجه شيخ قبيلة البوحمدان في بيته في منطقة شانلي أورفه للمدة من 19–3/21 2008. للمزيد عن اوضاع العرب في تركيا ينظر: محمد عبد الرحمن العبيدي، العرب في تركيا، مجلة اوراق تركية معاصرة، العدد (18)،، مركز الدراسات الاقليمية، (جامعة الموصل– 2002).

(56) الجميلي، المصدر السابق، ص 39، للمزيد ينظر: عوني عبد الرحمن السبعاوي، الأقليات والطوائف في تركيا صراع الهوية، (نقلاً عن شبكة الانترنت)، ص 62.

(57) إبراهيم الداقوقي، صورة العرب لدى الأتراك، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت – 1998)، ص 55.

(58) المصدر نفسه، ص 63، للمزيد ينظر: ميشال نوفل وآخرون، العرب والاتراك في عالم متغير من وجهة النظر العربية، ط1، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، (بيروت، 1993).

(*) الارابيسك: هي تلك الزخرفة التي ينم اسمها عن اصلها العربي وتعني هذه الزخرفة كلمة التوريق وهي اصدق تعبير وقد اطلق مؤرخو الفن الاوربيون هذه الكلمة على نوع من الزخارف النباتية ابتدعه الفنان العربي والمسلم وينطلق فن الارابيسك من الفكرة الجوهرية في التعليم الاسلامي والمتعلقة بالتشبيه والتنزيه والتي كان لها اثر تاريخي حاسم في تباعد الفنانين العرب والمسلمين عن التصوير او التشبيه، عمر عبد العزيز، ارابيسك فن يتكيء على فلسفة الجمال العربية، مجلة الرافد، العدد (34)، (الامارات العربية المتحدة – 2000)، ص84.

(59) المصدر نفسه، ص 67.

(*) عبدالحق حامد: هو الشاعر الاعظم عند الاتراك وألمع ادبائهم وهو شاعر غنائي رقيق وقاص ومؤلف مسرحي يمتاز بحرية الفكر له من المؤلفات (36) عنواناً بين شعر ومسرح ومن اهم مؤلفاته فتح الاندلس 1879، وابن موسى او ذات الجمال 1917. محمد حرب عبد الحميد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط2، دار القلم (دمشق–1999)، ص281.

(60) المصدر نفسه، ص282–283.

(61) المصدر نفسه، ص 284.

(62) الجاسر، المصدر السابق، ص 24.

(63) قبيس سعيد عبدالفتاح، ومثنى عبدالرزاق الدباغ، العلاقات الاقتصادية العراقية التركية ومستقبلها، مجلة أم المعارك، العدد22، (بغداد – 2000)، ص 59.

(64) عادل دهش صالح، النقل البري للبضائع المستوردة عبر تركيا إلى العراق ندوة الشؤون التركية، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية (بغداد – د.ت)، ص 9.

(65) السبعاوي، العلاقات العراقية التركية وآفاق تطورها، ص 14.

(66) سياسة العراق الدولية، التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي (بغداد ت 1982)، ص 185.

(67) دراسات عن تركيا، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية (الأرشيف والتوثيق)، ج4 (بغداد – د.ت)، ص 494، نقلا عن محضر الاجتماع الثالث للسنة التجارية المختلطة المجتمعة في أنقرة (شباط –1973).

(68) محمد صلاح محمود الكبابجي، العلاقات العراقية التركية 1991 – 2000، رسالة ماجستير غير منشورة (الجامعة الأردنية –2002)، ص 24 –25.

(69) المصدر نفسه، ص 27، للمزيد من العلاقات الاقتصادية العراقية التركية ينظر: السويداني، العلاقات العراقية التركية، 1980 – 1990 (الفصل الرابع).

(70) حنا عزو بهنان، العلاقات النفطية العراقية التركية 1977 – 2001 مجلة دراسات إقليمية، العدد5 (جامعة الموصل –2006)، ص 36.

(71) افراح ناثر جاسم، موقف تركيا من الاتفاقية الامنية بين العراق والولايات المتحدة الامريكية، نشرة متابعات اقليمية، العدد 2، السنة 6، جامعة الموصل، (مركز الدراسات الاقليمية، 2009)، ص1.

(72) تغيان، المصدر السابق.، ص210

(73) الهادي غيلوفي، العرب والأتراك ما بين المصالحة التاريخية والمصالح الإستراتيجية، مجلة شؤون عربية، العدد 143 (الأمانة العامة للجامعة العربية – 2010)، ص 216.

(74) عوني عبدالرحمن السبعاوي، إسرائيل ومشاريع المياه التركية: مستقبل الجوار المائي العربي، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، (أبو ظبي –1997)، ص 15.

(75) أورهان كول أوغلو وآخرون، العلاقات العربية التركية (حوار مستقبلي) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية الذي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت – 1995)، ص337.

(76) ريان ذنون العباسي، مشروع جنوب شرق الأناضول وتأثيره في العلاقات العربية التركية، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل – 2004)، ص 103.

(77) سحر عبدالمجيد المجالي، الاتفاقيات الدولية لاحواض الانهار المشتركة: الاطار التاريخي، بحث مقدم الى المؤتمر السنوي بعنوان (المياه العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين)، مركز دراسات المستقبل، جامعة اسيوط، (مصر، 1998)، ص 30.

(78) خورشيد حسين دلي، تركيا وقضايا السياسة الخارجية، ط2، منشورات اتحاد الكتاب العرب (دمشق –1999)، ص 48-49، وللمزيد ينظر: دوف واكمسان، تركيا وإسرائيل، ميزان قوى جديد في الشرق الأوسط، مجلة الفكر السياسي، العدد 7 (دمشق –1999).

(79) جمال عبدالناصر، تركيا الشقيقة، في صباح محمد محمود، دراسات عن تركيا، ج2، مركز الدراسات الآسيوية والإفريقية (بغداد – د.ت)، ص 255.